

مقالات في التاريخ المسيحي - القرن الأول الميلادي - المقالة الثانية

بعد إستشهاد القديس مارمرقس و حتى نهاية القرن الأول تعاقب ثلاثة آباء بطاركة على الكرسي المرقسي كان أولهم البابا إنيانوس و جلس على الكرسي المرقسي حتى عام ٨٤ ميلادية و بعده البابا ميلوس و تنيح عام ٩٦ ميلادية و الأخير كان البابا كرزونوس الذي إستشهد سنة ١٠٦ ميلادية - و إنتشرت في أيامهم الكرازة المسيحية حتى شملت أنحاء مصر و وصلت أيضاً الى غالبية الخمس مدن الغربية. و فيها أيضاً وصلت المسيحية إلى رجال في مستويات رفيعة في المجتمع المصري سواء مسيحيين كانوا من خلفية يهودية أو من الوثنيين و أيضاً آمن الكثير من رجال البلاط الإمبراطوري بالمسيحية. و مع تكاثر عدد المسيحيين في مصر في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني حدث أن كان أول إضطهاد عام و ثني تصل نيرانه الحارقة إلى مصر حين كان إضطهاد الإمبراطور تراجان الذي وصلت أضطهاداته إلى الأسكندرية و أستشهد فيه البابا كرزونوس البطريك الرابع في عام ١٠٦ ميلادية.

من أورشليم و اليهودية و السامرة و إلى أقصى الأرض : في بداية إنتشار المسيحية في العالم جاء أول إضطهاد علي الكنيسة من اليهود حسب ما ذكر في سفر أعمال الرسل في يوم إستشهاد القديس إستفانوس شهيد المسيحية الأول " وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم فتشتت الجميع....." (أعمال ٨ : ١) و بعد ذلك تتابعت الأحداث في السفر و كان أن قُبض على القديس بولس في أورشليم و أمام الوالي رفع القديس بولس دعواه إلى قيصر و فعلاً سافر إلى رومية سفيراً عن الرب يسوع المسيح مُقيداً في سلاسل. و حتى ذلك الوقت كانت الإمبراطورية الرومانية تنظر للمسيحيين أنهم شيعة يهودية أو مجموعة منشقة منهم و هم جميعاً يهودياً فكان الجميع تحت إضطهاد واحد.

و بعد سنوات خدمة القديس بولس في رومية سواء قُضيت مسجوناً أم كان حراً جاء أول إضطهاد عام و علني حقيقي ضد المسيحيين من الإمبراطور نيرون - فبعد حريق روما الشهير في يوليو عام ٦٤ - كان لابد و أن يتواجد كبش فداء لما حدث و أن تتواجد مجموعة ما تُوجه إليها تهمة الحريق . و عليه أوعز اليه مستشاريه أن يوجه تهمة الحريق لهذه المجموعة المتزايدة و هم المسيحيين و في خلال سنوات تالية سجل لنا تاكيتوس المؤرخ كيف كانت نهاية الآلاف من المسيحيين سواء مما ألقوا للكلاب المسعورة (حسب تعبيره) أو ممن حرقوا أحياء كمشاعل مُضيئة أو ممن أستشهدوا بالصلب (مثل القديس بطرس) و بقطع الرأس مثل (القديس بولس) و آخرين.

و بعد موت نيرون منتحراً عام ٦٨ م جاء على العرش الإمبراطوري جالبا و أثو و فيتليوس و الثلاثة قضوا شهور قليلة على العرش حتى جاء فاسيبيان الإمبراطور الذي قضى عشر سنوات حتى عام ٧٩ م - حينما أعتلي العرش الإمبراطوري كانت إضطرابات منطقة اليهودية و أورشليم التي بدأت عام ٦٦ م بلغت ذروتها . فقام فاسيبيان بإرسال أبنه سيطس لردع هذه الإضطرابات فقام الأخير بحملة ناجحة إنتهت بخراب أورشليم سنة ٧٠ م كما تنبأ الرب يسوع " فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض " متي ٢٤ : ١ - ٢ فكان إضطهاد مروع على اليهود و حمل تيطس كل غالي و نفيس في الهيكل و معه (المنارة الذهبية) و ما زال قوس النصر الحجري المسمى بأسم تيطس **Arc Of Titus** على مداخل روما يحكي الكثير عما حدث في نهاية أورشليم مما يشيب له الولدان و تقشعر له الأبدان .

من سنة ٧٠ م و حتى نهاية القرن الأول : بعد نجاح تيطس في القضاء على إضطرابات منطقة اليهودية و أورشليم تصاعد إسمه و شعبيته حتى أنه خلف والده فاسيبيان علي العرش الإمبراطوري و لكنه جلس سنتان عليه فقط من سنة ٧٩ حتى سنة ٨١ و من بعده جاء أخيه دوميتيان الذي جلس على العرش الإمبراطوري حتى عام ٩٦ م. و كان دوميتيان أول من إتخذ لقب " السيد و الإله " و ربما كان هو الأخير أيضاً و لذلك كان الإضطهاد ضد كل من لا يؤمن به أو بأهة الدولة الرومانية بدأ يأخذ شكلاً منظماً بل و علنياً أيضاً و زادت نيران هذا الإضطهاد سعيراً حينما كان الجنود المسيحيين يرفضون تقديم ذبائح لأوثان الدولة الرومانية أو التبخير لها و طبعاً كانت العقوبة هي الأعدام.

وفي نهاية القرن الأول الميلادي كان البلاط الإمبراطوري و معه كبار السياسيين و المفكرين ينظرون للمسيحية كفكر معارض للفكر الروماني القائم علي التوسع في الحكم بالحروب و الفتوحات العسكرية و بالتالي فأن المسيحيين هم مجموعات غير مرغوب في وجودهم في الجيش و المجتمع لأنهم لا يشاركون الآخرين في عبادة آلهة الرومان. و من هنا بدأت الدولة تنظم قوانين ضد المسيحيين بداية من إغتصاب ممتلكاتهم حتى البيع كعبيد لصالح الدولة الرومانية أو الإعدام بالرمي للوحوش الجائعة. و رغم هذا الإضطهاد المنظم كانت أعداد المسيحيين تتزايد و المسيحية تنتشر و تنمو و كما قيل بموسى النبي "...و لكن

بحسبما أدلّوهم هكذا نموا و إمتدوا.... " خروج ١: ١٢ و في عام ٩٦ م ملك الإمبراطور نيرفا لمدة سنة و ثلاث شهور لينتهي القرن الأول و تراجان جالس على العرش الإمبراطورى و هو يمارس سياسية جديدة و هي سياسية إبادة المسيحيين و ليس إضطهادهم فقط.

بدع القرن الأول : و لم تكن المسيحية مُضطهدة فقط من الخارج و لكن كانت تتألم من الداخل أيضاً حيث كانت البدع و الهرطقات تريد أن تقضي على المسيحية و تفتك بها أكثر من الأباطرة المضطهدين. نجد أن القرن الأول ظهرت فيه ثلاث بدع.

أول بدعة : كانت السيمونية نسبةً إلى سيمون الساحر - و هو كان ساحراً ماهراً جداً أوهم الشعب في السامرة أنه قوة الله العظيمة وكانوا يتبعونه لكونهم إندهشوا زماناً طويلاً بسحره (أعمال الرسل ٨) - و عندما بشر فيلبس بالمسيحية في السامرة سيمون الساحر نفسه آمن بالسيد المسيح و لكن عندما جاء القديسين بطرس و يوحنا للسامرة صلياً لكي يحل الروح القدس على المؤمنين المعمدين هناك و فعلاً حل الروح عليهم بوضع أيدي الرسل. و لما رأى سيمون أن الروح القدس يحل بوضع أيدي الرسل أراد أن يشتري هذه المهبة بالدراهم فقال له القديس بطرس: "لتنك معك فضتك للهلاك لأنك ظننت أن تقنتي مواهب الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر..... فتب من شرك هذا عسى أن يغفر الله لك فكر قلبك". أعمال ٨: ١٧-٢٤ و لم يذكر سفر الأعمال بعد هذا أي شئ عن سيمون هذا إلا أن كلمة " السيمونية" أُطلقت فيما بعد على كل من وقع في خطية بيع أو شراء سر الكهنوت بالفضة سواء للأسقفية أو للقسسية.

وثاني بدعة : الأبيونية Ebonite's بدعة نادي بها فريق من المسيحيين المتهودين - و هذا الاسم لم يظهر إلا في القرن الثاني الميلادي، لكنهم كانوا موجودين بمبادئهم منذ عصر الرسل، فهم بقية من الذين أنشأوا بدعة التهود التي ناقشها الرسل و التلاميذ في مجمع أورشليم الأول (ذُكر في سفر أعمال الرسل ص ١٥) و يذكر ابيفانيوس أنهم ظهروا مرة أخرى بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م بين جماعة اليهود المتصرين الذين لجأوا إلى بلاد قريبة قبيل خراب أورشليم و بعدها أيضاً .

و الاسم "أبيونيون" و من العبرانية "أبيونم" وتعني فقراء و مساكين . وهذه التسمية أطلقوها هم على أنفسهم لينالوا الطوبى التي أعطاها السيد المسيح للمساكين بالروح. فهم يحفظون ناموس موسى حفظاً حرفياً و يقصدون السبت و يعتبرون الختان لازماً للخلاص و أوجبوا على المسيحيين الجدد حفظ ناموس كشرط للخلاص. أما إيمانهم في المسيح فقد أنكروا لاهوته و رفضوا الإعتراف بأنه كلمة الله و اعتبروا السيد المسيح ولد حسب الطبيعة من يوسف و مريم، و أنه هو النبي الذي تنبأ عنه موسى. كما اعتقدوا في مجيئه الثاني في مجد ملكي أرضي وأنه يعد لنفسه ولأتباعه - من اليهود الأتقياء - مُلكاً ألياً.

أما ثالث بدعة : فهي بدعة كيرنثوس اليهودي هو يهودى تعلم الفلسفة بالأسكندرية وبدأ في نشر بدعته سنة ٧٣ م - و ذلك ألّفها بخلط تعاليم السيد المسيح ومبادئ السامية و يقول القس منسى يوحنا في كتابه تاريخ الكنيسة القبطية: " تعاليم الكنوسسيين بنيت على خرافات البليروما (أى العالم الأعلى) و الأيون (أى الأشخاص السماوية الخالدة) و دميورج (أى خالق العالم الحقيقي الذى يختلف عن الإله الأعظم) ولكنه أظهر مبادئه بصورة يقبلها اليهود فعلم أن الذى سنّ الشريعة اليهودية هو خالق العالم و هو ذا صفات شريفة مكتسبة من الإله الحق ولكن هذه الفضائل تدنس فأراد الله أن يلاشى هذا السلطان بواسطة أيون مقدس اسمه المسيح .

و أن الرب يسوع هو إبن بالطبيعة الجسدانية ليوسف و مريم فهذا حلّ فيه المسيح بزوله عليه على هيئة حمامة عند عماده من يوحنا في نهر الأردن و عندما أتحد شخص المسيح بيسوع الإنسان قاوم إله اليهود (خالق العالم) بشجاعة و عندما رأى إله اليهود مقاومة يسوع فقام بتحريض أتباعه اليهود فقبضوا عليه ليصلبوه فلما رأى المسيح أنهم قبضوا على يسوع طار إلى السماء و ترك يسوع يُصلب . ولهذا أوصى كورنثيوس أتباعه بإحترام الإله الأعظم أبى المسيح و المسيح نفسه . و أمرهم بعدم إتباع شريعة اليهود كلها و لكن البعض منها فقط و أوصاهم بالسير على نظام المسيح معلماً إياهم بأنه سيعود و يتحد بالإنسان يسوع الذى حلّ فيه قبلاً و يملك مع تابعيه على العالم مدة ألف سنة ثم وعدهم بقيامة أجسادهم و تمتعها بأفراح في مدة مُلك المسيح الألفى و بعدها يدومون في حياة سعيدة في العالم السماوى .

و في النهاية ، بقي أن نقول أن القرن الميلادي الأول بدأ و السيد المسيح رضيعاً فقيراً ، هارباً و مُطارداً مع أسرته من هيرودس الملك وهو ملك الملوك و سيد الممالك و أنتهى ذات القرن و تلاميذه ليسوا أفضل حالاً منه فليس تلميذٍ أفضل من معلمه - هم أيضاً تركوا عنهم ممالك العالم وهم ناظرين الي مُلكهم الأبدى و ملكهم السرمدى الرب يسوع المسيح .

و لا أجد عبارات تصف حال المسيحيين في نهاية القرن الأول سوى ما قاله القديس بولس في رسالته الثانية لأهل كورنثوس : "..... كمضلين و نحن صادقون. كمجهولين و نحن معروفون. كمائتين وها نحن نحيا. كمؤدبين و نحن غير مقتولين. كحزائى و نحن دائماً فرحون. كفقراء و نحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا و نحن نملك كل شيء....." ٢ كورنثوس ٦- ٨ : ١٠